سورة الحجرات
مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
سورة الحجرات ٤٩ آياتها ١٨
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم في جباههم، من كثرة السجود والصلاة ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وصفهم في التوراة ﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾ أخرج فروعه وفراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فقوّى الزرعَ بهذه الفروع والأغصان ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ صار قوياً وغليظاً ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ قام على أعواده وأصوله ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ليغتاظ منهم الكفار. **قال قتادة:** هذا مثلٌ في غاية البيان، فالزرعُ هو محمد ﷺ، والفروع هم أصحابه، كانوا قليلين فكثروا، وضعفاء فتقوّوا، وما زالوا يزدادون ويكثرون، حتى صاروا دِرْعاً لرسول الله ﷺ، حتى صلُبَ أمرُ الدين بهم واشتدَّ، وانتشر الإسلام في أقطار المعمورة.

سورة الحجرات

﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لا تقدّموا رأياً، أمام قضاء الله ورسوله، بل عليكم الطاعة والتسليم ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ﴾ ولا تتحدثوا أمام الرسول ﷺ كما يتحدث بعضكم إلى بعض، لا تقولوا في ندائكم له: يا محمد، ولكنْ قولوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله، تعظيماً لقدره، نزلت في بعض الجفاة، الذين ما كانوا يعرفون أدب الحديث، ولا مقام الرسالة في كلامهم ﴿تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ خشية أن تبطل أعمالكم ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ يخفضونها في حضرة الرسول ﷺ ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ﴾ أخلصها وصفّاها لإشراقة صفاء الإيمان والتقوى ﴿مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ بيوت أزواج النبي ﷺ التي كانت بجوار المسجد النبوي الشريف.

﴿فاسق﴾ إن جاءكم رجل فاسق، غير موثوق في كلامه وعدالته ﴿بنبإ﴾ بخبر من الأخبار ﴿فتبينوا﴾ تثبّتوا من صدق خبره ﴿أن تصيبوا﴾ خشية أن تصيبوا عن جهل جماعة بالأذى ﴿نادمين﴾ فتصبحوا نادمين أشد الندم على صنيعكم ﴿لعنتم﴾ لوقعتم في الجهد والمشقة وهلكتم ﴿وزينه﴾ نوّر بصائركم، وحسّن الإيمان في قلوبكم ﴿الراشدون﴾ المهديُّون إلى طريق الرشاد ﴿بغت إحداهما﴾ اعتدت إحداهما واستطالت ﴿فقاتلوا التي تبغي﴾ قاتلوا تلك الجماعة الباغية ﴿حتى تفيء﴾ حتى ترجع إلى قبول حكم الله..

نزلت هذه الآيات، في خصومة وقعت في عهد النبي ﷺ.. روى البخاري عن أنس أنه قال: (انطلق النبي ﷺ إلى (ابن سلول) المنافق، وركب حماراً وانطلق معه المسلمون، فلمَّا وصل إليه قال ذلك المنافق: إليك عني فقد آذاني نتنُ حمارك!! فقال رجل من الأنصار: والله لحمارُ رسول الله أطيبُ ريحاً منك، فغضب للمنافق رجل من قومه، فكان بين أصحابه وأصحاب الرسول ﷺ، ضربٌ بالأيدي، والجريد، والنّعال، فأنزلت هذه الآية ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا..﴾ الآية) رواه البخاري. ﴿وأقسطوا﴾ اعدلوا بين الطائفتين ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ لا يعب بعضُكم بعضاً ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ لا يرْمِ أحدٌ أحداً بلقب السَّوء، كقوله: يا أقرع، يا أعرج، أو يا كلبُ، يا حمارُ، وهذا يشمل كل لقبٍ قبيح يكرهه الإنسان ﴿بئس الاسم الفسوق﴾ بئس أن يسمى الإنسان فاسقاً، بعد أن كان مؤمناً صادقاً، والمراد أن فعل هذه القبائح فسقٌ، يُخرِجُ الإنسانَ عن صفة العدالة والإسلام.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿كثيرا من الظن﴾ ظن السوء بأهل الخير ﴿بعض الظن إثم﴾ ذنب يستحق صاحبه العقوبة، قال عمر: لا تظننَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك المؤمن شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملاً ﴿ولا تجسسوا﴾ لا تتبعوا عورات المسلمين ﴿ولا يغتب﴾ لا يذكره في غيابه بما يكره ﴿فكرهتموه﴾ كما تكرهون أكل لحم الميت، فاكرهوا غيبته ﴿شعوبا وقبائل﴾ جماعات تنتسب إلى أصل واحد آدم عليه السلام ﴿لتعارفوا﴾ ليحصل بينكم التعارف والتآلف، لا التناحر والتخالف ﴿لا يلتكم﴾ لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً ﴿لم يرتابوا﴾ لم يشكوا ولم يتردّدوا ﴿بدينكم﴾ أتخبرون الله بما في قلوبكم من الإيمان؟ ﴿يمنون عليك﴾ يمتنون عليك يا أيها الرسول بدخولهم في الإسلام ﴿منوا عليكم﴾ قل لهم: لا تمتنوا عليَّ بالإسلام، بل للّهِ المنّةُ عليكم، أن وفّقكم للهداية والإيمان ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنكم دخلتم في الإسلام عن رغبة، لا طمعاً في حطام الدنيا.. نزلت في جماعةٍ من (بني أسد) جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله جئناك مسلمين، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلانٍ وفلان، وأخذوا يمتنُّون على الرسول بإسلامهم، فنزلت الآية، تفسير الشوكاني.

قوله تعالى: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ قل يا محمد: أتخبرون الله بما في ضمائركم وقلوبكم من الإيمان؟ وهو جلَّ وعلا العليم بجميع أحوال الخلق؟ **قال ابن كثير:** (وهؤلاء الأعراب ليسوا منافقين، وإنما هم مسلمون، لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فأُدّبوا بذلك، ولو كانوا منافقين لعُنّفوا وفُضحوا).